الفصل الثاني

حُجيّة السُنة النبوية

ويشمل عدة أبحاث منها :

١ ـ تعريف السنة النبوية في لسان العرب .

٢ ـ تعريف السنة النبوية في الشريعة الغراء .

٣ ـ السنة القولية والفعلية .

٤ ـ الجمع بين السنة القولية والفعلية .

٥ ـ السنة التقريرية .

٦ ـ السنة الوصفية .

٧ ـ فضائله ﷺ .

٨ ـ السنة النبوية جامعة لشؤون الدنيا والدين .

حجية السنة النبوية

ولنتحدث الآن بشيء من التفصيل، عن معنى السنة، وحجيِّتها، وأهمية الإسناد فيها، وطريقة تلقِّي المسلمين للأحاديث النبوية الشريفة.

تعريف السُنة:

السنة في كلام العرب، تطلق على الطريقة والسيرة، فهي لغة: الطريقة التي يسلكها الإنسان ويعتادها، سواءً كانت حسنة أَو سيئة، فكلُّ من أتى أمراً، عمل به قوم بعده، يقال: هو الذي سنَّه، قال الشاعر:

كأني سَنَنْتُ الحُـــبَّ أوَّلَ عَاشِـــقٍ من النَّاسِ إِذْ أحببتُ من بينهم سَلْمى[1]

وفي الحديث الشريف:

«من سنَّ في الإِسلام سُنَّةً حسنةً، فله أجرها وأجر من عملَ بها بعده، من غير أن يَنْقُص من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإِسلام سُنَّة سيِّئة، كان عليه وزرها ووزرُ من عمل بها بعده، من غير أن يَنْقُص من أوزارهم شيء»[2].

وفي الشريعة الغراء:

السُنَّةُ هي: كلُّ ما أُضيف إِلى النبي ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، أو وصفٍ، وهي ترادف كلمة «الحديث الشريف».

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة «سنن».

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة رقم ١٠١٧ وهو طرف حديث طويل في فقراء مضر.

وإذا أُطلقت كلمة «السنة» أُريد بها سنَّةُ المصطفى ﷺ وهديُه الشريف، الذي أُمرنا بالتمسك به، كما قال عليه الصلاة والسلام:

«ومن يَعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي، وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ بدعة ضلالة»[1].

السنة القولية:

أما أقوال النبي ﷺ، فهي أحاديثه الشريفة، التي نطق بها، وسمعها منه أصحابه، فحفظوها ودوَّنوها، بالنقل الصحيح الثابت، وهي كثيرة مستفيضة، تكفَّلت بها كتبُ الصحاح والسنن، كصحيح البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجة.

ثم المسانيد كمسند الإمام أحمد، ومسند الدارمي، والطيالسي، وغيرها من كتب الحديث الشهيرة المستفيضة.

مثال القول: حديث **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىءٍ ما نوى»**[2].

وحديث «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظلَّ إلا ظله..»[3] **الحديث.**

وحديث «اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[4].

وحديث الصحيحين: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»**.

وأمثلتها كثيرة شهيرة تحتاج إلى مجلدات.

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي، وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم.
(٣) أخرجه البخاري.
(٤) أخرجه مسلم.

السنة الفعلية:

أما السنة الفعلية، فهي ما صدر عن رسول الله ﷺ من أفعاله وأعماله، وهي كثرة كثيرة لا تكاد تحصى، ونذكر على سبيل المثال ما روته كتب الصحاح والسنن منها:

١ ـ ما روي عن عائشة أنها قالت: «**كان ﷺ إذا اشتكى، نفث على نفسه بالمعوِّذات، ومسح عنه بيده**»[١].

٢ ـ وحديث عُبادة «**كان إذا أخذ مضجعه، قرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾**»[٢].

٣ ـ وحديث أنس «**كان إذا اشتدَّ البردُ بكَّر بالصلاة، وإذا اشتدَّ الحرُّ، أبرد بالصلاة**»[٣] أي تأخر في أدائها رحمة بالناس.

٤ ـ وحديث ابن عمر «**كان ﷺ إذا اعتمَّ ـ أي لبس العمامة ـ سَدَل عمامته بين كتفيه**»[٤].

٥ ـ وحديث أبي سعيد الخدري «**كان إذا جلس احتبى بيديه**»[٥].

وأفعاله ﷺ قد نُقلت إلينا عن طريق صحابته الكرام، أو عن طريق أزواجه الطاهرات «أمهات المؤمنين» فقد حُكيت لنا تفاصيل حياته ﷺ اليومية، في نومه ويقظته، وسَفَره وحَضَره، ومدخله ومخرجه، ومأكله ومشربه، وملبسه ومركبه، حتى ما يتصل بحياته الزوجية مع أزواجه، لأنها كلها مكان التأسي والاقتداء ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

كقول عائشة رضي الله عنها «**كان ﷺ يُقبِّل أزواجه، ثم يصلِّي ولا**

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه الطبراني.
(٣) أخرجه الشيخان.
(٤) أخرجه الترمذي.
(٥) أخرجه أبو داود.

يتوضأ»[1].

وكقول ميمونة: «**كان ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه وهي حائض، أمرها أن تتَّزر ـ أي تضع الإزار ـ ثم يباشرها**»[2].

أي يلاعبها بالملامسة والتقبيل، وليس معنى المباشرة: الجماعُ كما فهمها بعض الجهلاء. وكحديث عائشة «**كان ﷺ يُقبِّل وهو صائم**»[3].

وقولها أيضاً: «**كان إذا أراد سفراً أقْرعَ بين نسائه، فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها معه**»[4].

إلى غير ما هنالك من أفعاله التي لا تُحصى، نُقلت لنا بالأسانيد الصحيحة، فهذه الأفعال التي حُكيت عنه ﷺ كلُّها تدخل في إطار «السنة المطهرة»، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، يقتدون به عليه السلام في أفعاله، ولو لم يظهر فيها دواعي الحكمة، وذلك من كمال حُبِّهم له، وشدة حرصهم على اتباعه في كل شؤونه، وعلى رأس هؤلاء «عبد الله بن عمر» و«أنس بن مالك» رضي الله عنهما.

روي عن مجاهد أنه قال: «**كنَّا مع ابن عمر في سفر، فمرَّ بمكان فحاد عنه ـ أي ابتعد عنه ـ فسُئل: لمَ فعلتَ ذلك؟ فقال: رأيتُ رسول الله ﷺ فعل ذلك ففعلت**»[5].

وعن زيد بن أَسْلَمَ قال: «**رأيتُ ابن عمر يُصلِّي محلولاً أزراره، فسألته عن ذلك، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يفعله**»[6].

وحكى أنسٌ خادم النبي ﷺ أنه رأى رسول الله ﷺ وقد وُضع له طعام، فجعل

---

(١) أخرجه أبو داود وأحمد.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) أخرجه الشيخان.
(٤) أخرجه البخاري ومسلم.
(٥) رواه أحمد بإسناد جيد.
(٦) رواه ابن خزيمة والبيهقي.

عليه الصلاة والسلام يتتَّبع الدبَّاء ـ أي القرع ـ قال أنس: فمنذ ذلك اليوم أحببت الدباء.

الجمع بين السنة القولية والفعلية:

ومن الأحاديث ما جمع بين القول والفعل، كرواية ضحكه ﷺ في قصةٍ مع عمر، وذلك في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص قال:

«استأذن عمرُ على النبي ﷺ، وعنده نسوةٌ من قريشٍ يسألنه ويستكثرْنهُ ـ أي يطلبن منه المال والعطاء ـ عالية أصواتهنَّ على صوته، فلما استأذن عمر، ابتدرن الحجاب ـ أي اختبأن منه ـ فدخل عمرُ والنبيُّ ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سِنَّك يا رسول الله، بأبي أنت وأمِّي، ما أضحكك؟ ـ أي ممَّ تضحك ـ فقال رسول الله ﷺ: **«عجبتُ من هؤلاء اللَّاتي كنَّ عندي، فلما سمعْنَ صوتك ابتدرنَ الحجاب»!!**

فقال عمر: فأنت يا رسول الله أحقُّ أن يهبن!! ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبنَ رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنت أفظُّ وأغلظُ من رسول الله ﷺ ـ أي أنت فظٌّ غليظ ورسول الله ليس كذلك ـ فقال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب ـ أي دعهنَّ ـ فوالذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطانُ سالكاً فجاً ـ أي طريقاً ـ إلاَّ سَلَكَ فجَّاً غير فجِّك»[1] فهذا الحديث الشريف يحكي لنا ما دار في قصة النسوة مع عمر، وقد جمع بين قول النبي ﷺ وفعله، ومثل هذا كثير في الأحاديث الشريفة، وانظر جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير كتاب المناقب والفضائل.

السنة التقريرية:

٣ ـ السُنَّةُ التقريرية: هي ما أقره رسول الله ﷺ، ممَّا صدر عن الصحابة من أقوالٍ وأفعالٍ، وذلك بسكوته ﷺ وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار استحسانه ورضاه، فيكون إقراره وموافقته على القول أو الفعل، كأنه صادرٌ عنه لأنه مشرِّعٌ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في مناقب عمر ٧/ ٣٧ ومسلم رقم ٢٣٩٦ في فضائل الصحابة.

للأحكام من عند الله، وهو لا يسكت على شيء منكر، ولا يقرُّ على باطل، فكان ذلك دليل الجواز، كما هو معلوم في أصول الفقه، كما أن السكوت دليل الرضى، كما جاء في حديث زواج البكر «**لا تُنكح البكر حتى تُستأذن، وإذنها صمتها**» أي سكوتُها، وفي رواية أخرى «**قالوا يا رسول الله: وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت**»[1].

وأمثلة هذا النوع كثيرة، مثلُ إقراره ﷺ لمن تيمَّم من الصحابة، لعدم وجود الماء، ثم وجده بعد الصلاة، ولم يُعِدْ صلاته[2].

ومثل إقراره لعلي رضي الله عنه في بعض أقضيته.

وإقراره لمن أكل لحم الضَّبّ[3]، ولحم حمار الوحشي.

وإقراره لصلاة العصر في الطريق لمن صلَّى، وذلك في قصة غزوة بني قريظة.

وإقراره لقول القائف في نسب أسامة بن زيد.

واستحسانه لقول معاذ حين بعثه والياً على اليمن، وقال له: «**كيف تقضي إذا عَرَض لك قضاءٌ؟ قال: بكتاب الله عزَّ وجل، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهدُ رأي ولا آلُو - أي لا أُقصِّر - فاستحسن ﷺ ذلك منه، وضرب في صدره وقال له: الحمد لله الذي وفَّق رسولَ**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ١٦/ ٣٢١ من عُمدة القاري على البخاري للعيني، ورواه أبو داود وابن ماجة.

(٢) نصُّ الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري قال: «خرج رجلان في سفر، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء، فتيمَّما صعيداً طيباً فصلَّيا، ثم وجدا الماءَ في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء، ولم يُعد الآخرُ، ثم أتيا رسول الله ﷺ، فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يُعِد أصبتَ السنة، وأجزأتك صلاتُك، وقال للذي توضأ وعاد: لك الأجرُ مرتين» أخرجه أبو داود، والنسائي.

(٣) وذلك كما ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قُدِّم له طعامٌ فيه لحم، فأهوى بيده ليأكل منه، فأخبر أنه لحم ضبٍّ، فرفع يده ولم يأكل منه، فقالوا يا رسول الله: أهو حرام؟ قال: لا، ولكني أرى نفسي تعافه، وأكل الصحابة منه وأقرّهم ﷺ ولم ينههم، كما أُكِل بحضرته لحمُ حمار الوحش.

رسولِ الله ﷺ لما يُرضي رسول الله»[1].

ويدخل في التقرير قولُ الصحابي «كنا نفعل كذا في عهد رسول الله ﷺ».

كما في حديث مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال: «كنا نعزل على عهد النبي ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا»[2].

وفي رواية البخاري: «كنا نعزلُ على عهد النبي ﷺ والقرآنُ ينزل»[3].

وأخرج أبو داود في سننه « أن رجلاً قال يا رسول الله: إنَّ لي جاريةً، وأنا أعزلُ عنها، وأنا أكره أن تحمل، وأنا أريد ما يريد الرجال ـ يعني الاستمتاع بالنساء ـ وإن اليهود تُحدِّثُ أن العزل هو الموؤدة الصغرى؟

فقال ﷺ: «**كذبتْ يهودُ، لو أراد الله أن يخلقه، ما استطعت أن تصرفه**»[4].

ومعنى العزل: أن يجتنب صبَّ المَنيِّ في الفرج عند الجماع، فيعزل عنها.

فإقرار النبي ﷺ على أمرٍ من الأمور، يدلُّ على جوازه، كما أقرّهم على بيع السَّلَم الذي كانوا يتبايعونه في الجاهلية، وشرط عليهم بعض شروط فيه[5].

السنة الوصفيّة:

أما السنة الوصفية: فهي كل ما ورد من الأحاديث الشريفة، في ذكر أوصاف النبي ﷺ الخَلْقيّة، والخُلُقيّة، ممَّا زخرت به كتب السنة، من الفضائل الذاتية، والمناقب الحميدة التي تحلَّى بها عليه الصلاة والسلام، وأمثلة ذلك كثيرة أيضاً، نذكر منها بعض هذه الأحاديث:

١ ـ حديث علي يصف الرسول ﷺ فيقول: «**لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل**

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي، وانظر جامع الأصول ١٠/ ١٧٧.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٤٣٨ في النكاح، باب حكم العزل.

(٣) أخرجه البخاري ٩/ ٢٦٨ في النكاح.

(٤) أخرجه أبو داود رقم ٢١٧٣ باب ما جاء في العزل، والترمذي رقم ١١٣٦.

(٥) انظر أمثلة ذلك في كتاب إرشاد الفحول ص٤١ وشرح الكوكب المنير ٢/ ١٦٦.

ولا بالقصير، كان ربْعةً من القوم ـ أي معتدل القامة ـ وكان أبيضَ مشرباً بحمرة، إذا مشى يتكفأ تكفُّؤاً، كأنما ينحطّ من صَبَبٍ ـ أي يمشي مشية الرجال الأشداء، بقوة وحزم، كأنما ينحدر من موضع عال ـ بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجودُ الناس صدراً، وأشجعهم قلباً، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة ـ أي انقياداً ـ وأكرمهم عِشْرة، من رآه بديهةً هَابَه، ومن خالطه معرفةً أحبَّه، يقول ناعته ـ أي واصفه ـ لم أر قبله ولا بعده مثله، لا يسرد الحديث سرداً ـ أي لا يسرع في كلامه وحديثه ـ يتكلَّم بكلامٍ فصل، يفهمه من سمعه»[1].

٢ ـ وحديث الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: «كان رسولُ الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنَهُم خَلْقاً، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، كان مربوعاً ـ أي متوسط القامة ـ بعيد ما بين المنكبين، له شَعَرٌ يبلغ شحمة أذنيه، لقد رأيته في حُلَّة ـ أي بردة ـ حمراء، لم أر شيئاً قطُّ أحسن منه»[2].

٣ ـ وحديث مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: قلتُ لأبي الطُّفَيل: هل رأيت رسول الله ﷺ قال: نعم، لقد رأيتُه ﷺ وما على وجه الأرض اليوم رجلٌ رآه غيري!! قال: فقلت: كيف رأيته؟ قال: كان أبيض مليح الوجه[3].

٤ ـ وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأنَّ عَرَقَهُ اللؤلؤ، وما مَسسْتُ حريراً، ولا ديباجاً ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شَمَمْتُ ريحاً قطُّ ولا عَرْفاً، أطيب من رائحة النبي ﷺ وريحه»[4].

٥ ـ وفي رواية الترمذي عن أنس رضي الله عنه أنه قال:

«خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أفٍّ، وما قال لي لشيءٍ

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب رقم ٣٦٤٢.
(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء ٦/ ٤١٢ ومسلم في الفضائل رقم ٢٣٤٧.
(٣) أخرجه مسلم في الفضائل رقم ٢٣٤٠.
(٤) أخرجه البخاري ١٠/ ٤٢٠ ومسلم رقم ٢٣٣٠.

صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيءٍ تركته: لمَ تركتَه؟

وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً، وما مَسسْتُ خزّاً قطُّ، ولا حريراً، ولا شيئاً كان ألين من كفِّ رسول الله ﷺ ولا شَمَمْتُ مِسْكاً قطُّ، ولا عنبراً، كان أطيبَ من عَرقِ رسول الله ﷺ»[1].

٦ ـ وأخرج البخاري عن محمد بن سيرين رحمه الله قال: «قُلتُ لعُبيد: عندنا من شَعْر النبي ﷺ، أصبْناه من قِبَل أَنَسٍ ـ أي عن طريقه ـ قال: لأنْ يكون عندي شَعَرةٌ منه، أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها»[2].

٧ ـ وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ والحلاَّقُ يحلقُه، وأطاف به أصحابُه ـ أي أحاطوا به ـ فما يريدون أن تقع شعرة إلاَّ في يد رجل»[3].

٨ ـ وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال:

«كان النبي ﷺ يدخل بيت أمِّ سُلَيم ـ وهي أم أنس ـ فينام على فراشها وليست فيه، فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فقيل لها: هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك، فجاءت أمي بقارورة، وقد عَرِق النبي ﷺ، فجعلت تسلتُ العَرَق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: ما هذا الذي تصنعين يا أمَّ سُليم؟ قالت: هذا عَرَقُكَ يا رسول الله نجعلُه في طيبنَا، وهو أطيبُ الطِّيب»[4].

٩ ـ وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

«ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرين قطُّ، إلاَّ أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً ـ أي ما لم يكن في الأمر المخيَّر معصية لله ـ فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيءٍ قطُّ، إلا أن تُنْتَهك حرمةُ الله، فينتقم لله عزَّ

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٠١٦ في البرِّ والصلة.
(٢) أخرجه البخاري في الوضوء ١/ ٢٣٨.
(٣) أخرجه مسلم في الفضائل رقم ٢٣٢٥.
(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٣٣١ في الفضائل.

وجلَّ»[1].

١٠ ـ وأخرج البخاري عن عَطاء بن يَسار قال: «**لقيتُ عبد الله ابن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ـ وكان عبد الله يقرأ التوراة ـ فقال: أجَلْ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾** [الأحزاب: ٤٥] **وحِرْزاً للأميين ـ أي ملجأ وحصناً للعرب لأنهم اشتهروا بالأمية ـ أنت عبدي ورسولي، سمَّيتُك المتوكِّل، ليس بفظٍ ولا غليظٍ، ولا سَخّاب ـ أي صيَّاحٍ يرفع الصوت ـ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملَّة العوجاء ـ أي الانحراف الذي حلَّ باليهودية والنصرانية ـ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صُمَّاً، وقلوباً غُلْفاً**»[2] ـ غلفاً جمع أغلف، وهو الذي عليه غطاء وحجاب ـ والمراد أن قلوبهم عمياء لا تبصر الهدى.

فضائله ﷺ:

هذا غيض من فيض، وقليلٌ من كثير، من السُنَّة الوصفية التي تحدثت عن شمائله ﷺ وفضائله، فهناك روايات كثيرة شهيرة في شجاعته عليه السلام، وجوده، وكرمه، وصبره، وحلمه، وعطفه على الفقراء والمساكين، وممازحته لأصحابه، وحسن معاشرته للناس، وعظيم نُبله، وشدة حيائه، وبشاشته في وجه الصديق والعدو، ولو أردنا أن نستقصي هذه الشمائل والفضائل، لاحتجنا إلى مجلدات، ولكن نشير إلى كتابين هما «الشمائل المحمدية» للإمام الترمذي المحدِّث المشهور، وكتاب «الشفا في فضائل المصطفى ﷺ» للإمام الكبير القاضي عياض، كما نوصي بالرجوع إلى السيرة النبوية ففيها الكثير من أخلاق هذا النبي المختار، سيد الأولين

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء ٦/ ٤١٩ ومسلم في الفضائل رقم ٢٣٢٧ وأبو داود في الأدب ورقم ٤٧٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير باب ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ وفي البيوع ٤/ ٢٨٧.

والآخرين ﷺ، اللهم ارزقنا محبته وشفاعته، يا أكرم الأكرمين.

شناعة أقوال المستشرقين:

ومن إدراك هذه الأمور، في تعريف معنى السنة النبوية، وأنها ليست أقوال النبي فحسب، وإنما هي «كلُّ ما أُثر عن رسول الله ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقرير، أو صفة» يتضح لنا شناعة قول بعض المستشرقين، عن كثرة الأحاديث الشريفة، في أنها تزيد على مائة ألف حديث، قولهم: «كان الرسول ليس له همٌّ إلا الكلام».

والجواب أن هذا من السفه والجهل بمعرفة السنة النبوية، وهو كلام لا يصدر إلا عن أحمق، لا يدري معنى الحديث النبوي، والسنة المطهرة، فهو يهرف بما لا يعرف، وكفانا الله شر الجهل وأهله، فإن هؤلاء المستشرقين، لا يتركون فرصة سانحة لهم، إلاَّ وينفثون سمومهم، في نفوس الناشئة من أبناء المسلمين لزعزعة عقيدتهم بالإسلام، وبنبيِّهم عليه الصلاة والسلام، والمستشرقين ما درسوا «الاستشراق» إلاّ من أجل الهدم، لصرح الشريعة الغراء، فهم يكيدون للإسلام والدين، باسم العلم والمعرفة، وأكثرهم من القسس والرهبان، يدرسون الإسلام لا ليهتدوا، بل ليشكّكوا ويضلِّلوا البسطاء من المسلمين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١].

فالحذر الحذر من هؤلاء الثعالب، ممن يرتدون ثياب المصلحين، وهم أعداء ألدَّاء للإسلام، يُعملون فيه المعاول، لتقويض صرحه وبنائه، وقد عرفوا أنه لا يمكن التغلب على المسلمين، إلاّ عن طريق العبث في تراثهم، والتشكيك في المصدرين الأساسين، للشريعة الغراء، وهما؛ «**الكتاب، والسنة**»، فأخذوا ينفثون سمومهم في التشكيك في السنة النبوية، بعد أن عجزوا عن التشكيك في القرآن الكريم، لأنه منقول إلينا بالتواتر، جيلاً عن جيل، أما السنة فقالوا عنها: إن معظمها مكذوب ومدسوس على رسول الله ﷺ، وتولَّى كِبر هذه التهمة المفتراة، المستشرق اليهودي «جولدتسهير» وتابعه المستشرق الفرنسي «ليون بورشيه» في كتابه «دراسات في السنة

الإسلامية» وسنخصِّص ـ إن شاء الله ـ بحثاً مستقلاً للرد على شبهات بعض المستشرقين المغرضين، الكائدين لدين الله، الذين ينفثون سمومهم بين شباب الإسلام، ليشوِّهوا صورة الدين، وعظمة هذا النبي في نفوس المؤمنين، وبئس ما يصنعون!

السنة النبوية جامعة لشؤون الدنيا والدين

لو تأملنا في أحاديث المصطفى ﷺ، لرأينا أنها جمعت أسس الدين، وشؤون الحياة، فما من أمرٍ من أمور الدين، إلاَّ وللنبيِّ ﷺ فيه بيان، سواءً أكان ذلك في العقائد، أم العبادات، أم المعاملات، أم الأخلاق، أم نظم التعامل مع الدول، كلُّ ذلك للنبي ﷺ فيه توجيهٌ وتعليم، وإرشادٌ وبيان، حتى تركنا الرسول الكريم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاَّ هالك، وضرب لنا هذا المثل الرائع، في تصوير حقيقة دعوته ورسالته، ونجاة من تمسَّك بها وهلاكِ من تمرَّد وأعرض عن قبولها!!

يقول ﷺ: «**إن مَثَلي ومَثَلَ ما بعثني الله به، كمثل رجلٍ أتى قومه فقال يا قوم: إني رأيتُ الجيش بعينيَّ، وإنِّي أنا النَّذير العُرْيانُ ـ يعني العاري من الثياب إشارة إلى الخطر ـ فالنَّجَاء النَّجَاء ـ أي اطلبوا لأنفسكم النجاة، وخلِّصوها من الهلاك ـ فأطاعَهُ طائفةٌ من قومه فأدلجوا ـ أي خرجوا مسرعين من أول الليل ـ فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذَّبتْ طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ـ أي استأصلهم ـ فذلك مَثَلُ من أطاعني، واتَّبع ما جئت به، ومَثَلُ من عصاني، وكذَّب ما جئت به من الحقِّ**»[1].

وهذا مَثَلُ المعرضين عن طاعة رسول الله، الرافضين لسنَّته المطهَّرة، يوضِّحه لنا الرسول الكريم، بأوضح صور التمثيل والبيان، فيا خيبة من أعرض عن هديه، ورفض قبول قوله، وهو يدَّعي الإسلام؟

---

(١) أخرجه البخاري ١٤/ ٩٨ في كتاب الرِّقاب، ومسلم رقم ٢٢٨٣ في الفضائل.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾

[الصف: ٧].

كلام نفيس لابن القيّم:

للإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ كلام نفيسٌ رائع، عن الهدي النبويِّ والنور المحمدي الذي جاء به الرسول ﷺ: حيث يقول: «وقد تُوفِّي رسول الله ﷺ، وما طائرٌ يُقلِّبُ جناحيه في السماء، إلاَّ ذَكرَ للأمَّة منه علماً، وعلمهم كلَّ شيء حتى آداب التخلِّي[1]، وآداب الجماع، والنوم والقيام والقعود، والأكل والشرب، والركوب والنزول، والسفر والإقامة، والصمت والكلام، والعُزْلةِ والخُلْطة، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وجميع أحكام الحياة والموت، ووصَفَ لهم العرش والكرسي، والملائكة والجنَّ، والنار والجنة، ويوم القيامة وما فيه، حتى كأنه رأي عين، وعرَّفهم معبودهم وإلههم أتمَّ تعريف، حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، وعرَّفهم الأنبياءَ وأممهم، وما جرى لهم وما جرى عليهم، حتى كأنهم كانوا بينهم، وعرَّفهم من طرق الخير والشرِّ، دقيقها وجليلها، ما لم يُعرِّفه نبيٌّ لأمَّته قبله، وعرَّفهم ﷺ من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ، وما يحصلُ فيه من النعيم والعذاب، للروح والبَدَن، ما لم يُعرِّفْ به نبيٌّ غيره، وكذلك عرَّفهم من أدلة التوحيد، والنبوَّة، والمعاد، والردِّ على جميع أهل الكفر والضلال، وعرَّفهم من مكايد الحروب، ولقاء العدوِّ، وطُرق النصر والظفر، ما لو علموه وعقلوه ورَعَوْه حق رعايته، لم يقم لهم عدوٌّ أبداً ـ أي لم يثبت أمامهم عدو ـ وكذلك عرَّفهم من مكايد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها، وما يتحرَّزون به من مكره وكيده، وما يدفعون به شرَّه عن أنفسهم ما لا مزيد عليه.

وبالجملة فقد جاءهم بخير الدنيا والآخرة بأكمله، ولم يحوجهم الله إلى أحدٍ

---

(١) آداب التخلي: هومكان آداب قضاء الحاجة ـ وهو ـ ما يعرف بالحمام اليوم، حيث ورد الحث على الاستعاذة من الشياطين عند الدخول، والاستغفار عند الخروج. اهـ. مصححه. =

سواه، فشريعته كاملة، ما طرقَ العالَمَ شريعةٌ أكمل منها»[1]!!

أقول: هذه نبذةٌ عن شريعة سيد المرسلين، كتبها هذا الإمام العالم الجليل، فكيف يستغني المسلم عن هدي الرسول ﷺ وعن تعاليمه السديدة الرشيدة؟ وكيف يُعرض عن كل هذا النور المبين؟

اللهم نوِّر قلوبنا بهدي سيد المرسلين، يا أرحم الراحمين

---

(١) أعلام الموقعين ٤/ ٣٧٥ لابن القيم.